الدَّرسُ الخَامسُ (5)
اِستغلالُ دلالات الألفاظ في الاِنحرافِ في التَّفسير

هذا فاتحةُ دُروسِ المحورِ الثَّاني؛ وهو أثر التفسير اللُّغوي في انحراف المفسِّرين، وسيكون تركيزنا فيه على قسمٍ من المفَسِّرين من أصحاب المقالات المذمومةِ في المعتقدِ؛ (وغالبُهم من المعتزلة) ممَّن ارتكز على سعة لغة العرب واحتمالها للمعاني الكثيرة خِدمةً لمعتقده السَّابق، ولذلك عدلتُ عن تسمية الدرس على سبيل المثال: (أثر دلالات الألفاظ في الاِنحراف في التفسير) إلى (استغلال دلالات الألفاظ في الانحراف في التفسير)؛ لأنَّ الانحرافَ هُنَا مُبَيَّتٌ سلفًا، ودلالة اللَّفظِ لم تكن هي السَّبب في انحرافِ المفَسِّرِ، وإنَّما هو استخدمها لتوجيه الآية على ما يُوافِقُ هواهُ، واستغلَّها لتتَّسِقَ مع ما يعتقدُه. وهذه كما هو معلوم، خلافُ طريقة أهل العلم الرَّاسخين؛ وهي: (استدلَّ ثمَّ اعتقد)، أي أنَّ العقيدة الصحيحة تُستمَدُّ من الدَّليل الصَّحيح، فيما طريقة أهل البدع: (اعتقد ثمَّ استدلَّ)؛ أي أنَّها عكسٌ للطَّريقة المرضيَّة، فهُم عندما يأتون إلى تفسير الآية، يأتونها بمُعتَقَداتٍ سابقةٍ وخلفيَّاتٍ مُبَيَّتةٍ، فإذا رأوا أنَّ فيها خلافًا لمعتقدهم وكان لا بُدَّ من حملِ الآياتِ على تلك الأحكامِ المسبَقة؛ التَجَأوا إلى سَعة اللُّغة وإمكانها. وهذا وجهُ استغلال التفسير اللُّغوي في الانحراف في التَّفسير.

المسألةُ الأولى: المقصود بدلالات الألفاظ

لا نقصدُ بدلالات الألفاظ ههنا ما هو متعارفٌ عليه في الدرس الأصوليِّ بهذا المصطلح؛ وهو الثُّنائيَّات المتقابلة من قبيل العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز وغيرها؛ وإنما المقصود (معاني المفردات) في التفسير.

المسألة الثَّانية: أمثلةٌ على استغلالِ دلالات الألفاظ في الانحراف في التَّفسير

أوجه استغلال دلالات الألفاظ للانحراف في التفسير عِدَّةٌ، لكِنَّا سنكتفي في هذا المقامِ بضربين من ضُروب الاستغلال هما: اختيارُ المدلول اللغوي المناسب للمعتقد، وتفسير اللَّفظ بمدلول لفظٍ يُشابهه في الرَّسم، وبيانهما كالآتي:

أوَّلاً: اختيارُ المدلول اللُّغويِّ المناسب لِمُعتقَدِهم: وذلك إذا كان للَّفظِ في لغةِ العربِ أكثرُ من استعمالٍ؛ كاليدِ، تطلقُ على: اليدِ الجارحةِ، والنعمةِ، والقدرةِ، والنُّصرَةِ، فيختارونَ منها ما يوافقُ مذهبَهم المقرَّرَ

عندَهم، ولا ينظرونَ إلى صحةِ إطلاقِه في هذا السِّياقِ من عدمِه، بل يتمحَّلونَ له أيَّما تمحُّل، مكتفين في ذلك التَّفسيرِ بهذا الورودِ عن العربِ[1]. ومن أمثلةِ هذه القضيَّة ما يأتي:

1- كلمة (**خليلاً**) من قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[النساء:125].

فإنَّ المعروف في تفسيرِ (خليلاً)؛ أنَّها من (الخُلَّة) بضمِ الخاءِ؛ بمعنى الحُبِّ والوَلاية، أو كمال المحبَّة الَّتي لا خلل فيها. قال ابن جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «يعني بذلك جل ثناؤه: واتخذ الله إبراهيم وليًّا. فإن قال قائل: وما معنى "الخُلَّة" التي أعطِيها إبراهيم؟ قيل: ذلك من إبراهيم عليه السلام: العداوةُ في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحب فيه، على ما يعرف من معاني "الخلة". وأما من الله لإبراهيم، فنُصرته على من حاوله بسوءٍ، كالذي فعل به إذْ أراده نمرود بما أرادَه به من الإحراق بالنار فأنقذَه منها، أو على حجته عليه إذ حاجّه= وكما فعل بملك مصر إذ أراده عن أهله وتمكينه مما أحب، وتصييره إمامًا لمن بعدَه من عباده، وقدوةً لمن خلفه في طاعته وعبادته. فذلك معنى مُخَالَّته إياه.

– وقد قيل: سماه الله "خليلا"، من أجل أنه أصابَ أهلَ ناحيته جدْبٌ، فارتحل إلى خليلٍ له من أهل الموصل، وقال بعضهم: من أهل مصر، في امتيار طعام لأهله من قِبله، فلم يصب عنده حاجته. فلما قرَب من أهله مرَّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري من هذا الرمل لئلا أغُمَّ أهلي برجوعي إليهم بغير مِيرَة، وليظنوا أنّي قد أتيتهم بما يحبون! ففعل ذلك، فتحوَّل ما في غرائره من الرمل دقيقًا، فلما صار إلى منزله نام. وقام أهله، ففتحوا الغرائر، فوجدوا دقيقًا، فعجنوا منه وخبزوا. فاستيقظ، فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك! فعلم، فقال: نعم! هو من خليلي الله! قالوا: فسماه الله بذلك "خليلا"»[2].

– ولكنَّ قومًا من المؤوِّلةِ أنكروا هذا المعنى، وذهبُوا به إلى معنى (الخَلَّة) بفتح الخاءِ بمعنى الفقر والحاجة، «وإنما ذهبوا لذلك؛ لأنه تقرَّرَ عندهم في عقولِهم التي هي الحَكَمُ على ألفاظِ الشَّرْعِ، أنَّ الباريَ سبحانَهُ منزَّهٌ عن هذه الصفاتِ التي تدلُّ على الحدوثِ، بزعمهم، فلما كان هذا ثابتاً عندهم، تأوَّلوا هذا اللفظَ على ذلك المعنى فِرَاراً من إثباتِ ما أثبتَهُ اللهُ لنفسِه، وأكرمَ به نبيَّهُ إبراهيمَ عليه السلام»[3]. قال ابن قُتيبة رحمه الله (ت:276هـ):

[1] يُنظر: مساعد الطيار، التفسير اللغوي، ص526.

[2] ابن جرير، جامع البيان، ج9، ص251-252.

[3] الطيار، التفسير اللغوي، 527.

«وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) أَيْ فَقِيرًا إِلَى رَحْمَتِهِ. وَجَعَلُوه مِنَ "الْخَلَّةِ" بِفَتْحِ الْخَاءِ، اسْتِيحَاشًا مِنْ أَنْ يكون الله تَعَالَى خَلِيلًا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ زُهَيْرٍ:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ * يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمَ

أَيْ إِنْ أَتَاهُ فَقِيرٌ. فَأَيَّةُ فَضِيلَةٍ فِي هَذَا الْقَوْلِ، لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام؟ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا، فُقَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ وَهَلْ إِبْرَاهِيمُ فِي "خَلِيلِ اللَّهِ" إِلَّا كَمَا قِيلَ "مُوسَى كَلِيمُ الله"، و"عِيسَى رَوْحُ اللَّهِ "؟»[1].

2- كلمة (**كَلَّمَ**) من قوله ﷻ: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النساء:164].

- فإنَّ تفسيرها على ما ذكر ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «وخاطب الله بكلامه موسى خطابًا»[2]. فهي مُشتقَّةٌ من (الكلام)، وذكر في ذلك آثارًا تدلُّ عليه، من جُملتها ما يُؤثر عن كعبٍ ﷺ قال: إن الله جل ثناؤه لما كلم موسى، كلمه بالألسنة كلها قبل كلامه (يعني: كلام موسى)، فجعل يقول: يا رب، لا أفهم! حتى كَلَّمَهُ بلسانِه آخرَ الألسنةِ، فقال: يا ربِّ هكذا كلامُك؟ قال: لا، ولو سمعت كلامي (أي: على وجهه) لم تك شيئًا! وزاد أبو بكر الصغاني في هذا الحديث؛ أن موسى قال: يا ربِّ، هل في خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا، وأقرب خلقي شبهًا بكلامي، أشدُّ ما تسمع الناسُ من الصواعق[3].

- إلاَّ أنَّ هذا التَّفسيرَ لم تَرتضِه بعضُ الفِرق الَّتي تُنكرُ صفات الله ﷻ، واستعظمت أن يُوصفَ اللهُ بالكلام؛ لأنَّ ذلك عندهم يقتضي أنَّه حادثٌ (مخلوق)، لأنَّ الكلام من صفاتِ الحوادث، فحرَّفُوا تفسير الكلمة إلى (الكَلْمِ) بمعنى الجُرح، ومعنى الآية على ما زعموا: جرَّح اللهُ موسى بمخالب الحكمة. قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله (ت:751هـ): «فمن تأويل التحريف والإلحاد تأويل الجهمية قوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيما) أي جرح قلبه بالحِكَمِ والمعارف تجريحا. ومن تحريف اللفظ تحريف إعراب قوله: (وَكَلَّمَ اللَّهُ)، في الرفع إلى النصب، وقال: وكلم الله، أي موسى كلمَ اللهَ ولم يكلمْه اللهُ»[4].

---

[1] ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص121-122.

[2] ابن جرير، جامع البيان، ج3، ص403.

[3] يُنظر: ابن جرير، جامع البيان، ج3، ص404.

[4] ابن القيم، الصواعق المرسلة، ج1، ص217.

– ومن طريف ما يُذكرُ ههنا، أنَّ هذا التَّأويل لصفة الكلامِ لم يرتضِه حتَّى الزَّمخشريُّ، وهو من رؤوسِ الاعتزال، ويُنكر صفة الكلام لله ﷻ، فقال: «ومن بدع التفاسير أنه من (الْكَلْمِ)، وأن معناه وجرّح اللَّه موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن»[1].

3– كلمة (**يَدَاهُ**) من قوله ﷻ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[المائدة:64].

– فإنَّ تفسيرها أنَّها صفةٌ من صفات الله تعالى، وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وقال به العلماء وأهل التأويل[2]، مع اعتقادِ أنَّه ﷻ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). قال الإمامُ أحمدُ رحمه الله (ت:241هـ): «إِن لله تَعَالَى يدان، وهما صفة لَهُ فِي ذَاته، ليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين وَلَا جسم وَلَا جنس من الْأَجْسَام وَلَا من جنس الْمَحْدُود والتركيب والأبعاض والجوارح، وَلَا يُقَاس على ذَلِك لَا مرفق وَلَا عضد، وَلَا فِيمَا يَقْتَضِي ذَلِك من إِطْلَاق قَوْلهم: (يَدٌ) إِلَّا مَا نطق الْقُرْآن بِهِ أَو صحت عَن رَسُول الله ﷺ السّنة فِيهِ. قَالَ الله تَعَالَى: (بل يَدَاهُ مبسوطتان)، وَقَالَ رَسُول الله ﷺ: (كلتا يَدَيْهِ يَمِين)، وَقَالَ الله ﷻ: (مَا مَنعك أَن تسْجد لما خلقت بيَدي)، وَقَالَ: (وَالسَّمَاوَات مَطْوِيَّات بِيَمِينِهِ). وَيفْسد أَن تكون يَده الْقُوَّة وَالنعْمَة والتفضل؛ لِأَن جمع يَد أيد، وَجمع تِلْكَ أياد، وَلَو كَانَت الْيَد عِنْده الْقُوَّة؛ لسقطت فَضِيلَةُ آدمَ وَثبتت حجَّةُ إِبْلِيسَ»[3].

– إلاَّ أنَّ بعضَ أهل البدع من المعتزلة وغيرهم من المؤوِّلة المنكرين لصفات الله ربِّ العالمين، يكبُرُ عليهم أن يصفوا الله ﷻ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، فيُحرِّفون معنى (اليد) إلى النعمة. كما فعل ذلك القاضي عبدُ الجبَّارِ المعتزليُّ (ت:415هـ) حين قال: «والمرادُ بذلك: أنَّ نعمتيه مبسوطتانِ على العبادِ، وأراد به نعمةَ الدينِ والدنيا، والنِّعمةَ الظاهرةَ والنِّعمةَ الباطنةَ، وقد يُعبَّرُ باليَدِ عن النِّعمةِ، فيقالُ: لفلانٍ عندي يدٌ وأيادٍ ويدٌ جسيمةٌ»[4]. وإنَّما دعاهُ إلى ذلك تنْزيهُ اللهِ عنِ الجِسْمِيَّةِ بزعمِهِ، وساعدَه في ذلك سَعَةُ إطلاق اليدِ في العربيَّةِ على معانٍ، منها ما ذَكَرَهُ.

– وقدْ رَدَّ هذا التأويلَ الذي يذهبُ باللَّفظِ إلى غيرِ حقيقتِهِ أعلامُ السُّنَّةِ قديمًا قبل أن يُولدَ القاضي عبد الجبَّار، فمن ذلك مثلاً ما ردَّ به الدَّارميُّ عثمان بن سعيد، على بشرٍ المريسيِّ في تأويله صفة اليد فقال: «قد عَلِمتَ أيها المريسي أنَّ هذه تفاسيرُ مقلوبةٌ، خارجةٌ عن كُلِّ معقولٍ، لا يعقِلُهُ إلاَّ كلُّ جهولٍ. فإذا

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص591.

[2] يُنظر: ابن جرير، ج10، ص456.

[3] أحمد بن حنبل، العقيدة (رواية أبي بكر الخلال)، ص104.

[4] القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن، ج1، ص231.

ادَّعَيتَ: أن اليَدَ قد عُرِفتْ في كلامِ العربِ أنها نعمةٌ وقُوَّةٌ. قلنا لكَ: أجلْ، ولسنا بتفسيرِها منك أجهلَ، غيرَ أنَّ تفسيرَ ذلك يستبينُ في سياقِ كلامِ المتكلمِ حتى لا يحتاجُ له من مثلِكِ إلى تفسيرٍ.

إذا قالَ الرَّجُلُ: لفلانٍ عندي يَدٌ أكافئه عليها؛ عَلِمَ كُلُّ عالمٍ بالكلامِ أنَّ يَدَ فلانٍ ليستْ ببائنةٍ منه موضوعةً عند المتكلمِ، وإنما يرادُ بها النِّعْمَةُ التي يشكرُ عليها.

وكذلكَ إذا قالَ: فلان له يدٌ أو عَضُدٌ أو ناصرٌ، عَلِمْنَا أنَّ فلاناً لا يمكنُه أنْ يكونَ نفسَ يَدِهِ عُضْوُهُ أو عَضُدُهُ، فإنما عَنَى به النُّصْرَةَ والمعونة والتَّقويةَ.

فإذا قالَ: ضربني فلانٌ بيدِهِ، وأعطاني الشَّيءَ بيدِه، وكتبَ لي بيدِهِ، استحالَ أنْ يقالَ: ضربني بنعمتِه، وعَلِمَ كُلُّ عالمٍ بالكلامِ أنها اليَدُ التي بها يضربُ، وبها يكتبُ، وبها يُعْطِي، لا النِّعمةُ [...] ولا يجوزُ لك أيها المريسي أن تَنْفِيَ اليَدَ التي هي اليَدُ، لما أنَّه وُجِدَ في كلامِ العربِ أنَّ اليَدَ قدْ تكونُ نعمةً وقوَّةً»[1].

– كما قال قبل ذلك ابنُ قُتيبةَ رحمه الله (ت:276هـ): «وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) إن الْيَد، هَهُنَا النِّعْمَةُ؛ لِقَوْلِ الْعَرَبِ "لِي عِنْدَ فُلَانٍ يَدٌ" أَيْ نِعْمَةٌ وَمَعْرُوفٌ. وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْيَدُ، هَهُنَا النِّعْمَةَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) مُعَارَضَةً عَمَّا قَالُوهُ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ). وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ "غُلَّتْ نِعَمُهُمْ، بَلْ نِعْمَتَاهُ مَبْسُوطَتَانِ" لِأَنَّ النِّعَمَ لَا تُغَلُّ، وَلِأَنَّ الْمَعْرُوفَ لَا يُكَنَّى عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ، كَمَا يُكَنَّى عَنْهُ بِالْيَدِ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ جِنْسَيْنِ مِنَ الْمَعْرُوفِ، فَيَقُولَ: لِي عِنْدَهُ يَدَانِ. وَنِعَمُ اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا»[2].

ثانيًا: تفسير اللَّفظ بمدلول لفظٍ يُشابهه في الرَّسم: وذلك إذا لم يُسْعِفْهُمْ في اللَّفظِ تعدُّدُ استعمالِه، عَمَدُوا إلى تفسيرِه بمدلولِ لفظٍ يشابهه في الرَّسمِ، وإنْ اختلفَ عنه في الحركاتِ، التي ينتجُ عنها اختلافُ المدلولِ[3]، ومن أمثلة هذا القِسم من التَّأويل:

1– كلمة (**الصُّورِ**) من قوله ﷻ: ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾[الكهف:99].

– معنى (الصُّور) بضمِّ الصَّادِ والواو المدِّيَّة؛ القَرنُ الذي ينفخُ فيه إسرافيلُ عليه السلام النَّفختين؛ نفخةَ الصَّعق ونفخةَ القِيامِ. قال ابن جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «قال بعضهم: هو قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من

[1] الدارمي، نقض الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، ج1، ص289–290.

[2] ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص122.

[3] يُنظر: الطيار، التفسير اللغوي، ص532–533.

كان حيًّا على الأرض، والثانية لنشر كل مَيْتٍ. واعتلوا لقولهم ذلك بقوله ﷻ: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)[سورة الزمر:68]، وبالخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال إذ سئل عن الصور: هو قرن يُنفخ فيه.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (إن إسرافيلَ قد التقم الصور وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ)، وأنه قال: (الصور قرن ينفخ فيه)»[1].

– لكنَّ بَعضَهم جعلَ (الصُّورَ) جمع صُورةٍ، ومعنى الآية على ذلك: يومَ يُنفخِ في الصُّوَرِ أي الأجسامِ أرواحُها فتحيا. قال أبو عُبيدةَ رحمه الله (ت:209هـ): «(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ)، يقال إنها جمع صورة؛ تُنفَخُ فيها روحُها فتحيا، بمنزلة قولهم: سور المدينة، واحدتها سورة»[2].

– وفي هذا انحرافٌ ظاهرٌ باللَّفظِ إلى غيره ممَّا يُشبهه وليس هو، فإنَّ (الصُّور) في الآيةِ بالواو المدِّيَّة، وهو اسمٌ مُفرد، أمَّا (الصُّوَرُ) فهي بفتح الواو، وهي جمعٌ. فضلاً عن أنَّ في تفسيرها (بالصُّوَر جمع صورة) إنكارًا للثَّابت عن النبيِّ ﷺ من تفسيرها بالقرن الَّذي ينفخُ فيه إسرافيل ﷺ، ولذلك أنكر أهل العلم هذا التَّأويل. قال الأزهريُّ رحمه الله (ت:370هـ): «أَخبرَني المنذريُّ عَن أبي الْهَيْثَم أَنه قَالَ فِي قَول الله: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) اعْترض قوم فأنكروا أَن يكون الصُّورُ قَرْناً، كَمَا أَنكَروا العرشَ والميزان والصراط، وادَّعَوْا أَن الصُّور جمع الصُّورَة، كَمَا أَن الصُّوف جمع الصوفة، والثُّوم جمع الثُّومة، ورَوَوْا ذَلِك عَن أَبي عُبَيدة.

قَالَ أَبو الْهَيْثَم: وَهَذَا خطأٌ فَاحش، وتحريفٌ لكلِم الله عَن موَاضعهَا، لِأَن الله جلّ وَعز قَالَ: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)، بِفَتْح الْوَاو، وَلَا نعلَم أَحداً من الْقُرَّاء قرأَها: (فأحْسَن صُورَكم)، وَكَذَلِكَ قَالَ الله: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) فَمن قرأَها (ونُفخ فِي الصُّوَر) أَو قَرَأَ: (فَأحْسن صُوْرَكم) فقد افترَى الكَذِب وبدَّل كتابَ الله، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَة صاحبَ أخبارٍ وغريب، وَلم يكن لَهُ معرفَة بالنحو.

وَقَالَ الْفراء: كلُّ جمعٍ على لفظ الْوَاحِد الذكَر سبق جمعُه واحدتَه، فواحدتُه بِزِيَادَة هَاء فِيهِ، وَذَلِكَ مثل الصُّوف والوَبر والشعَر والقطْن والعشب، فكلّ وَاحِد من هَذِه الْأَسْمَاء اسمٌ لجَمِيع جنسه، فَإِذا أُفْرِدتْ واحدتُه زيدتْ فِيهَا هَاء، لِأَن جميعَ هَذَا الْبَاب سبق واحدتَه، وَلَو أَن الصوفةَ كَانَت سَابِقَة للصوف لقالوا: صُوفَةٌ وصُوَف، وبُسْرَةٌ وبُسَر، كَمَا قَالُوا: غُرْفة وغُرَف، وزُلْفَة وزُلَف.

---

[1] ابن جرير، جامع البيان، ج11، ص462-463.

[2] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص196، 416، و: ج2، ص162.

وَأما الصُّورُ القَرْنُ فَهُوَ وَاحِد لَا يجوز أَن يُقَال واحدتُه صورَة، وَإِنَّمَا تُجمع صُورَة الْإِنْسَان صُوَراً، لِأَن واحدتَه سبقتْ جَمْعَه[...]

ورَوَى سُفْيانُ عَن مُطرّف عَن عطيّة عَن أبي سعيد الخدرِي قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: (كَيفَ أَنْعَمُ وصاحِبُ القَرْن قد التَقَم القَرْن، وحَنى جَبْهَته وأَصْغَى سَمعه ينْتَظر مَتى يُؤمَر) ، قَالُوا: فَمَا تأمُرنا يَا رَسُول الله، قَالَ: (قُولُوا حسْبُنا الله وَنعم الْوَكِيل).

قلتُ [أي الأزهريُّ]: قد احتجَّ أَبُو الهَيْثم فأحسَنَ الِاحْتِجَاج، وَلَا يَجوز عِنْدِي غيرُ مَا ذَهَب إِلَيْهِ، وَهُوَ قولُ أهلِ السنّة وَالْجَمَاعَة»[1].

2- كلمة (**غَوَى**) من قوله ﷻ: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾[طه:121].

- وتفسيرُها عند أهل العلم بالتَّفسيرِ؛ (فغوى) أي فَعَل ما لم يكن له فعله، أو أخطأ وضلَّ واعتدى. قال ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «وقوله ﷻ: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) يقول: وخالف أمر ربه، فتعدّى إلى ما لم يكن له أن يتعدّى إليه، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها»[2]. وقال البغويُّ رحمه الله (ت:510هـ): «(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ) بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، (فَغَوَى) يَعْنِي فَعَلَ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلُهُ. وَقِيلَ: أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ، وَضَلَّ حَيْثُ طَلَبَ الْخُلْدَ بِأَكْلِ مَا نُهِيَ عَنْ أَكْلِهِ، فَخَابَ وَلَمْ يَنَلْ مُرَادَهُ»[3]. فاللَّفظ من (غَوَى يَغْوَى غَيًّا وغِوَايةً).

- إلاَّ أنَّ قومًا استعظَموا أن ينسبوا ذلك لآدمَ ﷺ؛ فحرَّفوا الكَلِمَ عن مواضعه، وانحرفوا باللَّفظ إلى مُقاربٍ له هو (غَوِيَ) بمعنى بَشِمَ؛ ومعنى الآية على ذلك: وبَشِمَ آدمُ من أكلِ الشَّجرةِ، كما يَبشَمُ الفصيلُ (ولد النَّاقة) من الحليب، فجعلوه من (غَوِيَ)، ونَصُّ القرآنِ (غَوَى)؟! وإنما دعاهم إلى هذا التَّحريف؛ مفهومُ العِصْمَةِ عندهم، وأنَّ النَّبِيَّ لا يجوزُ عليه الخطأُ، وقد يكونُ هذا القولُ بالعصمةِ مبنيًّا على مسألةِ أصحابِ الكبائرِ والقولِ بتخليدِهم في النَّارِ عندَ المعتزلةِ، فيحرِّفون أيَّ نصٍّ وردَ فيه خطأٌ من نبيٍّ؛ لئلاَّ يَخْرِمُوا ما قرَّرُوهُ في هذا المبدأ، فَيُخَرِّجُونَ أخطاءَ الأنبياءِ بتخريجاتٍ مُتَكَلَّفةٍ بعيدة، فيها انحرافٌ بالنَّصِّ عمَّا جاء به[4].

---

[1] الأزهري، تهذيب اللغة، ج12، ص160-161.

[2] ابن جرير، جامع البيان، ج18، ص388.

[3] البغوي، معالم التنزيل، ج5، ص299.

[4] يُنظر: الطيار، التفسير اللغوي، ص533.

– قال ابنُ قُتيبة رحمه الله (ت:276هـ): «يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا، ويحملهم التنزيه لهم، صلوات الله عليهم، على مخالفة كتاب الله جلّ ذكره، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي لا تخيل عليهم، أو على من علم منهم، أنّها ليست لتلك الألفاظ بشكل، ولا لتلك المعاني بلفق.

كتأوُّلهم في قوله تعالى: (وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) أي: بَشِمَ من أكل الشجرة. وذهبوا إلى قول العرب: غَوِيَ الفصيل: إذا أكثر من اللبن حتى يبشم. وذلك غَوَى؛ بفتح الواو، يَغْوِي غيًّا. وهو من البشم (غَوِيَ) بكسر الواو، يَغْوَى غَوَى [...] ولو وجدوا أيضا في (عصى) مثل هذا السَّنَنِ لركبوه، وليس في (غَوَى) شيءٌ إلا ما في (عَصَى) من معنى الذَّنب، لأن العاصي لله التّارك لأمره غاوٍ في حاله تلك، والغاوي عاصٍ، والغيُّ ضدُّ الرّشد، كما أن المعصية ضد الطاعة.

وقد أكل آدم ﷺ من الشجرة التي نُهي عنها باستزلال إبليس وخدائعه إيّاه بالله والقسم به إنه لمن الناصحين، حتى دلّاه بغرور، ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص؛ كذنوب أعداء الله، فنحن نقول: (عصى وغوى) ، كما قال الله تعالى، ولا نقول: آدم (عاصٍ ولا غاوٍ) ، لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدّم ولا نيّة صحيحة، كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا تقول: خائط ولا خيَّاط، حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفا به»[1].

3– كلمة (**نَاظِرَةٌ**) من قوله ﷻ: ﴿**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة:22-23].

– فإنَّ معناها واضحٌ عند أهل العلم: وهي أنَّ هذه الوُجوه تنظر إلى خالقها ﷻ إكرامًا لها. وقد نقل ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ) « عن الحسن، في قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) قال: حسنة (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال: تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضُر وهي تنظر إلى الخالق»[2]. ثمَّ قال: «وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرِمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ»[3]. فهي اسمُ فاعلٍ من (نظَرَ).

– إلاَّ أنَّ المعتزلة المنكرين لرُؤية الله ﷻ ينحرفون بها إلى معنى (منتظرة)، فيكون معنى الآية على ما زعموا: إلى ثوابِ ربِّها منتظرةٌ متوقعةٌ راجيةٌ. قال الزَّمخشريُّ عفا الله عنه (ت:538هـ): «(إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) تنظر إلى

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القُرآن، ص230.

[2] ابن جرير، جامع البيان، ج24، ص72.

[3] ابن جرير، جامع البيان، ج24، ص73.

ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول [...] ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدِّ، في محشر يجتمع فيه الخلائق كلُّهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال، فوجب حمله على معنًى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه؛ أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء»[1].

– وفي جعلِ (ناظرة) في هذه الآية بمعنى (منتظرة) تحريفٌ ظاهرٌ، دفعهم إليه المقرَّرات السَّابقة في إنكارِ رؤية الله ربِّ العالمين، ولذلك رُدَّ هذا التَّأويلُ من أهل العلم الرَّاسخين. قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله (ت:751هـ): «وكذلك قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب؛ فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله، وعداه بحرف (إلى) التي إذا اتصل بها فعل النظر؛ كان من نظر العين ليس إلا، ووصف الوجوه بالنضرة التي لا تحصل إلا مع حضور ما يُتَنَعَّمُ به، لا مع التنغيص بانتظاره، ويستحيل مع هذا التركيب تأويل النظر بغير الرؤية، وإن كان النظر بمعنى الانتظار قد استعمل في قوله ﷻ: (انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ)[الحديد:13]، وقوله تعالى: (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)[النمل:35]»[2].

ومُجمَلُ القول ههنا، أنَّ دلالاتِ الألفاظِ ممَّا استُغِلَّ في الإنحرافِ في التَّفسيرِ، وما أسلفنا من الأمثلة شواهدُ على ذلك.

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص662.

[2] ابن القيم، الصواعق المرسلة، ج1، ص194.